نهاية الطريق: أوراق تحترق

عامر محسن

قد تكون مجموعات المعارضة السورية «المعتدلة»، وفصائل جيش الفتح، هي الخاسر الأكبر مما يجري في سوريا، وأول من باعه الغرب والداعمون حين رضخوا ـ ضمنياً ـ للواقع الجديد. فقد قضت الغارات الروسية رسمياً، ودفعة واحدة، على فكرة «الحظر الجوي» ومشروع «المنطقة الآمنة» في الشمال؛ وهي تقصّدت استهداف مواقع على مرمى النظر من الحدود التركية (كانت المجموعات المسلحة تعتبرها حصينة من الغارات الجوية)، وداخل حدود «المستطيل» بين جرابلس ومارع الذي تم الترويج لوضعه تحت «الحماية» التركية.

علينا انتظار العمليات البرية المكمّلة حتى نعرف الأثر الحقيقي لهذه التطوّرات، ولكن، في أحسن الأحوال، فإن هذه المجموعات ستعمل من الآن وصاعداً في بيئةٍ جديدةٍ صعبة. واذا ما وضعنا جانباً التصعيد اللفظي والإعلامي الذي يقوم به عرب الخليج، فإن الغارات تخلق وضعاً جديداً بين المقاتلين وداعميهم: المخابرات الأميركية، مثلاً، ستتردّد في إغداق الأسلحة والصواريخ على مجموعاتها، حتى يدمرها، ببساطة، سلاح الجو الروسي في اليوم التالي (وموسكو، بالمناسبة، لم تعلن يوماً أنها ستضرب «داعش» حصراً، بل هي بلّغت الأطراف المعنية بأنها تستهدف «أعداء الدولة السورية»، ومسؤولوها العسكريون، على اية حال، يطلقون اسم «داعش» على كل مجموعة يضربونها).

سواء كان الأمر مصادفة أو نتيجة تخطيط، فإن التوقيت كان أهم ما خدم «الحلف الجديد» في سوريا. في العادة، يتمحور ردّ الخصوم في هكذا حالة ـ طالما أن المواجهة المباشرة غير مطروحة ـ حول تعزيز المجموعات المسلحة التابعة لهم، وتزويدها بسلاحٍ أفعل وتمويلٍ أكبر؛ غير أن الغارات الروسية قد انطلقت في وقتٍ وصلت فيه ثقة الجمهور الغربي (والحكومة والإعلام) بالمعارضة السورية المسلحة الى أدنى درجاتها، وصار دعم المجموعات المسلحة موضوع تندّرٍ في الصحافة، بمعنى أن هذا السلاح امّا يذهب الى «القاعدة» أو الى أفراد يذوبون ويهربون عند أول اشارة للخطر. من جهةٍ أخرى، فإن الدول الخليجية لم تعد في وضعٍ مالي يسمح لها بذرّ المليارات بلا حساب، وهذا لا ينطبق فقط على السعودية، وحالها معروف، بل ايضاً على قطر (قد يصعب على المرء أن يتصور ان دولة بهذا الحجم الصغير، وبهذه الموارد الضخمة، قد تقع في عجزٍ، ولكن هذه هي الحال)؛ فقطر لا تملك احتياطات مالية كبرى، وهي ـ على عكس السعودية ـ قد راكمت ديناً حكومياً معتبراً، ولديها التزامات هائلة في السنوات المقبلة، تتعلق بمشاريع البنى التحتية واستضافة كأس العالم، وميزانيتها، اذا اعتمدنا الأرقام الرسمية لهذه السنة، التي احتسبت على أساس سعر 65 دولاراً للبرميل، ستقع في عجزٍ كبير (ربما كان على «الثوار» أن يراهنوا على الإمارات).

بالمعنى الأشمل، ما يجري اليوم في المنطقة هو نتيجة تراكماتٍ عرّت الخليج والغرب من كلّ «أوراقه»، الخليج لعب كلّ رهاناته في المنطقة، وبالمعنى السيئ للكلمة: لم يبقَ حليفٌ محتمل الا وتمّ تجنيده، كلّ قريةٍ أو مدينةٍ لهم فيها نفوذ صارت ساحة حرب ودمار، كلّ من يمكن شراؤه انضوى في الركب، وكل شعارٍ طائفي أو تحريضي استخدم. لم تعد هناك امكانيات للتصعيد. يهدّد الخليجيون (والأميركيون) روسيا، في الإعلام، بأنها ستصير «عدواً» للمسلمين بعد تدخّلها، وتعجّ الانترنت ببيانات لمشايخ سعوديين وشاميين تلوّح بإعلان الجهاد على «الروس الكفرة». ولكن هذا الكلام لم يعد له من معنى، فتهديد روسيا و«إعلان الجهاد» عليها حصل منذ سنوات، وقد دقّ النفير، بالفعل، مرّات عدّة، وكلّ من هو مستعدّ للإنتظام في هذا المشروع السعودي تطوّع وجاء يقاتل في أرضنا، فما هو «المزيد» الذي به يهددون؟ (وحين يشبّهون سوريا، بالمعنى الايجابي، بأفغانستان، فهل هم يفقهون الرسالة التي يوجهونها الى السوريين؟ والمستقبل والمصير الذي يتوعدونهم به؟)

من العراق الى سوريا واليمن، بدأ الغرب والخليج يصطدمان بحائط الواقع واستنفاد الخيارات. لقد تقلّصت طموحاتهم في بلدٍ كالعراق من الاستئثار بكامل الحكم والعملية السياسية (عبر شخصيات كاياد علاوي) الى دعم «ثورة العشائر» والمشاريع الأميركية (الفاشلة) في الأنبار؛ والوضع في اليمن اسوأ. ومن يعامل حلفاءه كوقودٍ للإحراق، بدلاً من الاستثمار بهم وتأطيرهم والحفاظ عليهم، يجد نفسه في نهاية المطاف وحيداً.

في الواجهة

ديبلوماسي روسي: التقدّم البرّي

رسم التدخل العسكري الروسي في الحرب السورية خطوطاً حمراً جديدة. لم يعد في استطاعة التحالف الغربي المناوىء لنظام الرئيس بشار الاسد تجاوزها. وقد يتعين عليه مساكنتها ربما، الى ان يفرض على تلك الحرب صدمة معاكسة

يترك الاسد السلطة عندما يطلب ذلك السوريون (ارشيف)

نقولا ناصيف

شأن كل صدمة تضرب المنطقة، يتسابق فريقا 8 و14 آذار على المغالاة في التوقع والاجتهاد والرهان على تطورات في الداخل، تجعله على صورة ما يحدث في الخارج. فيكون ثمة رابح وخاسر. هكذا يتربصون بما بعد الصدمة الروسية.

ذاك ما عناه مرة تقدم نظام الرئيس بشار الاسد والجيش في حرب سوريا، ثم عناه تقدم المعارضة. عنته حرب اليمن حينما زحف الحوثيون، ثم بعدما انكفأوا. كذلك قبل اتفاق فيينا بين ايران والغرب عندما قيل بضربة عسكرية قاصمة الى الجمهورية الاسلامية وبرنامجها النووي، ثم مرحلة ما بعد الاتفاق. صح الامر ايضاً حينما جزم فريق لبناني بحتمية ضربة عسكرية اميركية لنظام الرئيس السوري اثر الحديث عن استخدام السلاح الكيميائي، ثم قيادة موسكو وساطة افضت الى تسوية قضت بتدمير هذا السلاح. في كل مرة اصابت صدمة الحرب السورية، تمددت ارتداداتها الى مخيلة الافرقاء اللبنانيين وأوهامهم وتوقعاتهم بأن ثمة رابحاً مؤكداً في الداخل، على صورة الرابح المؤكد في الخارج. بيد ان شيئا من ذلك كله لا يبصر النور.

لم يختلف الامر تماما منذ دخول موسكو طرفا عسكريا في الحرب السورية في 30 ايلول الفائت مع تشعب الاجتهادات، تارة بقول فريق انها اغرقت نفسها في وحول الحرب بين نظام الاسد ومعارضيه، وقول فريق آخر ان الضربات الروسية شبه اليومية مذ ذاك تتوخى قلب موازين القوى العسكرية التي شهدت في الاشهر الاخيرة تقهقراً للنظام والجيش رأسا على عقب بغية ترجيح الكفة له مجددا. لكن سجالا كهذا من الشرفة يطل به اطراف 8 و14 آذار لن يكون كافيا لتقدير ماذا يتوقعون من الدور الروسي، العسكري الصارم بعد السياسي غير المتهاون، في سوريا في المرحلة المقبلة.

في لقاء خاص في منزل مسؤول لبناني سابق، حدّد ديبلوماسي روسي في بيروت ملامح الدور الجديد لبلاده بشقيه العسكري والسياسي في طريق الوصول الى ما تقول به موسكو، وهو تسوية النزاع في سوريا. ابرز الديبلوماسي الروسي امام محاوريه الملاحظات الآتية:

1 ــ تدعم روسيا نظام الاسد والتغيير في سوريا في آن، وتصر على ان يترك الاسد السلطة عندما يطلب منه السوريون ذلك، لا عندما تطلب الولايات المتحدة او الدولتان العجوزان فرنسا وبريطانيا. ما تقوله موسكو انها مستعدة للبحث في الحل السياسي، لا في تغيير الاشخاص الذين يُبت مصير بقائهم او رحيلهم في ضوء ما يريده السوريون، عملا بآلية سياسية تقودهم الى نظامهم الجديد.

2 ـ روسيا في سوريا لأن تركيا وقطر والسعودية واوروبا الغربية فيها تقاتل الاسد وتريد اسقاط نظامه.

المشهد السياسي

عون يختبر جلسة الحوار: التسوية

هل تكون جلسة الحوار اليوم آخر جلساته بحضور العماد ميشال عون؟

بحسب المصادر السياسية، ستكون جلسة اليوم حاسمة لجهة تحديد مصير تسوية السلة الكاملة لأزمة التعيينات الأمنية وآلية العمل الحكومي وفتح أبواب مجلس النواب، في ظلّ عدم الوصول إلى حلّ لاعتراض الرئيس السابق ميشال سليمان على التسوية.

وعلى الرغم من الإيجابية التي طبعت جلسة الحوار بين تيار المستقبل و«حزب الله» ليل أمس برعاية الرئيس نبيه بري، خصوصاً لجهة تأكيد موافقة الأطراف الثلاثة على التسوية، إلّا أن أجواء التيار الوطني الحرّ عكست قدراً من التشاؤم، وسط ما سمّته مصادر التيار «حرص الفريق الآخر على منع الجنرال عون من تحقيق أي مكسب».

وحرص الرئيس نبيه بري أمام زواره على القول إنه يدعم والنائب جنبلاط إقرار خطوات من شأنها دعم العماد عون. وينفي بري أن تكون له أي صلة بالنقاط التسع التي اتهم تيار «المستقبل» بتسريبها إلى الصحافة بقصد تفجير الأزمة. وقال بري لزواره إنه كان واضحاً مع قيادة «المستقبل» بأنه لا مجال لإمرار صفقة تعيينات قوى الأمن الداخلي من دون التسوية الشاملة، وأن موقف العماد عون واضح، وسيحظى بدعم أكيد من حزب الله ومن آخرين، ما سيعطل التسوية.

وكانت جلسة أمس بين المستقبل والحزب انتهت إلى تأكيد «أهمية الحوار الوطني وتأثيره الإيجابي في الوضع، والتشديد على إيجاد المخارج المناسبة لإعادة العمل في المؤسسات الدستورية وتفعيلها في أسرع وقت».

على صعيد جلسة الحوار العامة اليوم، قالت المصادر إن العماد عون سيكون حاضراً اليوم، إلّا أنها جزمت بأنه «لن يناقش بند التعيينات والتسوية التي اقترحوها هم». وأضافت: «قد تكون جلسة الحوار الأخيرة، إذا لم يكن هناك جواب واضح على التسوية، وبعدها لا حكومة ولا أي شيء آخر. فعدم الجواب يعني أن كل الذي شهدناه كان توزيعاً للأدوار»، مشيرةً إلى أن «سعد الحريري يوافق، فؤاد السنيورة يتحفظ، وميشال سليمان يعترض». وسألت المصادر: «هل يريدوننا أن نصدق أنه يمكن سليمان الوقوف في وجه جميع